خيوط ناعمة وقيود لا تُرى

قراءة سيكولوجية في قيود المرأة الخفية

د. انتصار عبدالسلام كرمان

انتشرت مؤخرًا صورة مؤلمة – لوحة فنية - وقامت الدنيا وما قعدت في وسائل الإعلام والسوشيال ميديا حيث يُقال فيها أن : إعلامية ادعت انها رسمت هذه الصورة لتعبر عن " معاناة المرأة "، ثم ظهر فيما بعد أن فنانة عالمية دانماركية هي مَن رسمها!

ما يهمني هنا كسيكولوجية " أي متخصصة في علم النفس " هو ما تشير اليه اللوحة لا كـ" سرقة فنية " كما تدعي وسائل الاعلام والسوشيال ميديا والذي لا نعلم صدق هذا الخبر من كذبه، إنما يهمني هو المعنى الرمزي العظيم الذي تمثله هذه الرسمة الوجودية من وجهة نظري لكل امرأة خُلقت في هذا الكون من غابر التاريخ الى هذا اليوم – ماعدا بعض الحالات الاستثنائية على مستوى فردي لبعض النساء او لبعض الحِقب والفترات التاريخية المشرِّفة والمُشرقة من تاريخ المرأة – محاولة منا لنَعيد للفن رسالته ولكل صرخة معناها ومغزاها ... وحقها في أن تُروى .

في هذه اللوحة المذهلة، نرى امرأة ملامحها حزينة، مائلة الرأس عيناها مغمضتان، تحطّ عليها أسراب من الطيور جميلةٌ، بألوان دافئة ومختلفة، تخيط حول المراة وتربطها بحبال رقيقة لا تبدو عنيفة لكنها تخنق حريةً ناعمة، وتطفئ طيرانًا كان ممكنا .

تُثقل الطيور كاهل المـرأة، التي تتحمل الألم بصمت نبيل .

في هذه اللوحة الموجعة، لا نرى فقط امـرأة... بل نرى قصة عالمية تُروى بلا كلام.

هذه ليست مجرد رسمة.. إنها ألم وجودي، وعمل فني يستحق أن يُقرأ

هذه الرسمة ليست من رسم احد بعينه،،، بل رسمتها كل امرأة خذلتها الحياة بصمت.

رسمتها امرأةٌ أجنبية، نعم... لكنها رسمت وجعًا عالميًا لا جنسية له.

قراءتي السيكولوجية لهذه اللوحة تتجلى فيما يأتي :

ليست المشكلة أن تُربَط امـرأة بحبل.

المشكلة أن يكون الحبل ناعمًا، من حرير يشبه الحب، من خيوط تشبه الرعايَة، وأن تُقنعها الحياة أن القيد هو شكل آخر من أشكال النعمة.

في هذه اللوحة، لا نرى قيدًا غليظًا أو سجنًا من حديد .. بل نرى امرأة تطأطئ رأسها بصمت، بينما طيور ملونة تهبط على ذراعيها... تُثبّتها " بحنان قاتل "، لا يسمح لها أن تنهض.

أحيانًا، نحن لا نُربط بالحبال !! نُربط بالحب !! نُربط بالمسؤولية !! نُربط بالواجب !!

نُربط لأننا نساءٌ خُلقنا بجسد وهرمونات تجعلنا نستجيب بطريقةً معينة تكبلنا في أوقات ليست بالقليلة خلال مسيرة نماءنا البيولوجي ..

لكن الحكاية لا تنتهي بالجسد.. بل تبدأ معه.

فما أن تولد المرأة، حتى تُقال لها الكلمات الأولى التي ترسم لها صورتها وأدوارها ووظيفتها، بل وكيف يجب أن يكون جسدها وملامحها وصوتها وتعبيراتها وطريقة تفكيرها ومضمون عقلها، بل والأكثر من ذلك تعدُّ لها في بعض الأحيان والثقافات حتى عدد أنفاسها.

تنشأ طفلةٌ لا تعرف أن تعترض، تتعلم كيف تُرضي، وتُتقن كيف تخفي ألمها بابتسامة.

وبهذا الطير " الجميل " " الناعم " تُقنَع وتقتنع .. ومع كل سنة تكبرها، يضاف إلى كتفها طائرٌ جديد : طائر الأمومة، طائر الشرف، طائر الجمال، طائر الخدمة، طائر التضحية، طائر الأنوثة والرقة، او الإغراء ... وكل طائر لا يُرفرف بها... بل يُثقلها.

عبر التاريخ، ألبست هذه الطيور أثوابًا من الدين والتقاليد، ورسم لها دور في كل دين وثقافة ومجتمَع إذا تجاوزته أو أخلت به نالها نصيب من العذاب والنبذ والرفض والتشويه والـذي قد يصل الى المـوت والقتل وسلبها الحياة.

فتختار المـراة - في الغالب - أن تحقق كل صورة مرسومة لها : بنتا أو اما أو زوجة أو عاملة أو مثقفة ..الخ، تلك الصورة التي رسموها لها، فيما عدا حالات استثنائية عظيمة عبر التاريخ.

ثم تأتي اليوم هذه اللوحة العظيمة, لا تقول شيئًا، بل تترك لوجه المرأة المائل وكتفيها المربوطين، وعينيها المغلقتين.. أن تنطق.

هذه ليست امرأة مجهولة، بل هي وجه كل من تعبت دون أن تشكو، من ابتسمت وهي تبكي، من ربِتت على الآخرين وهي تنهار، من رُبطت بالحياة، لا لأنها ضعيفة... بل لأنها أقنعت نفسها أن الطيران أنانية، وأن الصبر فضيلة، وأن الألم شهادة "تفوق أنثوي".

وان تمثيل وتطبيق وتنفيذ الدور المرسوم لها ثقافيا واجتماعيا ودينيا " واجب وفضيلة عليا " و " رسالة حتمية طبيعية وإلهية " بغض النظر عن مدى صدق او كذب تلك الاقوال او الادعـــاءات، أو مـدى ملاءمتها وإنسانيتها وتوافقها مع قدسية الإله ومقتضى عدالته ورحمته .

في الفن، كما في الحياة، بعض الطيور لا تطير بنا... بل تربطنا إلى الأرض بأجنحتها العاجزة عن الطيران.

وبعض الحبال... لا تُـرى. لكننا نشعر بها كلما مدّت امـرأةٌ ذراعها لتمنح، وتُحلق ..واكتشفت أنها لم تعد قادرة حتى على رفعها.

وهذه اللوحة؟ لا تُباع ولا تُستعار. إنها شهادة حقيقية، على أن هناك نساء قُيّدن بحبال ناعمة، لكنهن ما زلن – رغم الألم – يحاولن الطيران.

نص

سيدة القصر

أحمد محمد إدريس

يا سيدةَ القصر يا اميرةَ البرِّ والبحرِ،
كلُّ حروفك سَاريةُ المفعول
كلُّ حركاتِ عينيك صكٌّ وَأمرٌ
ابتسامتُكَ وجعٌ، فرحٌ وقهر...
خطواتُك يا امرأةً اصعبُ خطواتٍ
رائحتُك باقيةٌ في كلِ الطرقاتِ
اسافرُ كلَّ يوم فوقَ عطرك
لا اخافُ عبورَ البحارِ
ولكني ارتعدُ إن نظرتْ الى شفتيك
لمساتُ شفتيك على كوب القهوة
تصيبُ قلبي بوابل من الرشقاتِ
اجهشُ بالبكاء كطفلٍ صغيرٍ
اذا ماشممتُ رائحةَ عينيك
قويةٌ انت في العشقِ
وسحقِ العُشاق
انت عظيمةٌ مبهرةٌ في الحبِّ
وفي التصويب ورمي الطلقاتِ
كلُّ يوم امرُّ من تحت شرفتكَ
اشمُّ عَطرَك المجنونَ ورائحةَ قهوتك
ياسيدتي كلماتُك لها رائحةُ عطرٍ
وانتِ أجملُ بعطرٍ او بلا عطرٍ
في وجنتيك ملصوقةُ الشمسِ
وفي خدَيك ضوءُ القمرِ
انا في دمك اكتبُ شعراً ونثراً وغزلا
انا احبُّكَ يا امرأةً ...
و ليس مني مَفَر

مكتبة الشيباني بالشيخ عثمان بعدن

محمد عبدالوهاب الشيباني

بعد عامين سيبلغ عمر مكتبة الشيباني بالشيخ عـثمـان بـعـدن الخامسة والسبعين.

تأسست المكتبة في العام 1952 في الشارع الرئيسي للمدينة (شارع السلفي) في عمارة تقع اليوم مقابل الواجهة الشرقية لأحد أشهر مساجدها (مسجد النور).. وتأسست قبل ستة أعوام كاملة من بناء المسجد ذاته (انشئ المسجد في العام 1958).

صاحب المكتبة هو المرحوم عبد الله اسماعيل الشيباني، الذي كان عضوا نشطا في حركة القوميين العرب بفرعها اليمني الجنوبي، ولاحقاً أحد مسؤولي الجبهة القومية الماليين في المدينة، ولهذا صارت المكتبة عنوانا بارزا للحركة ومن ثم للجبهة، ومنها كانت تخرج منشوراتها في ذروة الكفاح المسلح لاخراج المستعمر البريطاني من عدن وكل المحميات الشرقية والغربية، وكانت تعرض في واجهتها المطبوعات (كتب وصحف ومجلات) ذات المنحى القومي واليساري، التي كانت تصل عدن من القاهرة وبيروت وبغداد، إلى جانب عرضها للمطبوعات الكثيرة التي تضخها مطابع المدينة إلى سوق القراءة النشط في ذروة المد الثوري في الخمسينيات والستينيات وحراك المستعمرة البريطانية السياسي والاقتصادي.

تبدلت أحـوال المدينة، وتآكل سوق القراءة، وانقطع وصول الصحف والكتب مـن خـارج اليمن، ومـع ذلـك لـم تزل المكتبة مفتوحة لعرض وبيع الصحف القليلة التي تصدر بعدن وبعض الكتب و الدوريات القديمة، إلى جانب تحول الجزء الكبير من نشاطها لبيع القرطاسية والهدايا المتواضعة والأدوات المدرسية.

بسبب الـوضـع المـعـيـشي الخانق للسكان، يقوم حفيد المؤسس (الذي يدير المكتبة حاليا) كل صباح بإخراج استاند متواضع (لوح خشبي) بواجهة كرتونية ويلصق عليه الصفحات الأولى من الصحف التي تصدر صباحا في المدينة (اكتوبر، الأيام، عدن الغد، الأمناء، وغيرها) حتى يتمكن مدمنو القراءة من مطالعة العناوين وأخبار الصفحات الأولى، دون تحمل تكاليف الشراء، التي صارت تشكل عبئا حقيقيا على الغالبية منهم بسبب الوضع المعيشي المتدهور.

لهذا يمكن لأي شخص مار بالمنطقة في ساعات الصباح الأولى مشاهدة مجاميع من القراء البسطاء وهم يسلطون عيونهم على معروض الصحف على الاستاند الخشبي. أما الكرسي العتيق و الوحيد، المصنوع من علب كرتون البضائع المقوى، والموضوع أمام المكتبة فيتناوب القعود عليه بعض كبار السن الذين تربطهم علاقة طويلة بالمكان وبالمؤسس ذاته، ويُسمح لهم بتصفح الجرايد كاملة مجاناً.

العود آلة موسيقية أكادية

14 اكتوبر / متابعات:

يعود أصـل آلـة الـعـود إلى العصر الأكادي في الفترة ما بين 2350 الى 2650 قبل الميلاد.

وذلك وفقَ اكتشاف أثري في العراق حيث وجـدت نقوش وأختام تصور آلة العود منها نقش للآلهة آيـا التي كانوا يعتبرونها آلهة الموسيقى آنـذاك وبجوارها رجل يعزف على آلة العود.

منذُ ذلك الحين ومع تقدمنا بالزمن وفي عصرنا هذا تحديداً قل رُواد آلـة العود والآلات الشرقية بشكل عام.

وبـدأت بـالانـقـراض فكلما تقدمنا بالزمن اكثر بدأت آلات التخت الشرقي بالزوال ومن أهمها العود ليحل مكانها آلات غربية كالجيتار والبيانو والـدرامـز وآلات الأصـوات المصطنعة كـ(الاورغ) وكذلك بـدأت الثقافة الموسيقية الغربية بالانتشار بشكل واسـع ومكثف فحتى بعضَ عازفي الآلات الشرقية يعزفون بـأسـلـوب غـربـي كالأستاذ (نـصـيـر شـمـا) فـمـع كامل احترامي لفنه ولشخصه لكن لا ارى في أسلوبه ما يشبهنا فأنا ومثلي الكثيرون أحب موسيقانا ومقاماتنا وأبعادنا الشرقية الأصيلة، سترى الكثير والكثير مـن ذوي المـهـارات الاستعراضية العالية على آلة العود وسَيدهشكَ ما ستراه لكن كلها بعيداً عن جوهر موسيقانا الشرقية.

ثـم إن لدينا مـنَ الأنماط الموسيقية ما ليس بقليل حتى أنها فاقت المئة نمط (المقامات الـشـرقـيـة ومـشـتـقـاتـهـا) ليستبدلها البعض بنمطين فقط المينور والماجور ويتقيد بأبعاد ثابتة.

إن كنت من محبي آلة العود وتحب أن تتعلم لا تسمح للمهارات الاستعراضية أن تشدك نحوها وتعلم أسلوبك الشرقي وطوره واكتشف أسرار آلتك الشرقية العريقة، وابحث في مقاماتنا الشرقية وأبعادها الصحيحة ورونقها وطابعها وستجد الموسيقى بين الناس.

امرأة من فولاذ.. وعقل يعشق الحكمة

د. كريمة الشامي

عبر العصور، ظلّ الرجل الحقيقي يحترم المـرأة القوية، لا يخاف منها. لأن القوي بالفطرة، لا تهدده الكيانات الثابتة، بل يحتفي بها.

في المقابل، تهتز ذكـورة الضعفاء أمام كل امرأة تعرف قيمتها وحدودها ومكانها.

يقول عالم النفس إريك فروم في كتابه فن الحب:

"الحب الناضج يقوم على الاحترام المتبادل، ولا يمكن أن يتجذّر إلا بين شخصين ناضجين، يدرك كل منهما قيمة الآخر دون رغبة في الامتلاك."

وهنا، لا يكون الحب صراع قوى، بل حوار أرواح متكافئة.

الرجل الحقيقي لا يبحث عن تابعة تلهث خلفه، بل عن امـرأة تسايره، تناقشه، تثري فكره، وتمنحه مساحة ليكون أفضل.

في كتاب "قوة الأنوثة" للمؤلفة ميشيل ميلر، تصف الأنثى الذكية بأنها:

"التي تعرف متى تكون أنثى ومتى تصبح حكيمة، ومتى تصمت بحكمة وتتكلم بعشق."

وهذه ليست قوة غطرسة أو صوت مرتفع، بل وعي أن القوة الحقيقية أحيانًا تكمن في الاحتواء.

وأما علم النفس الاجتماعي، فقد أثبت من خلال دراسات نشرها Journal of Personality and Social Psychology أن الرجال الواثقين بأنفسهم ينجذبون بشكل أكبر إلى النساء المستقلات وذوات الطموح الواضح، لأن العلاقة بالنسبة لهم ليست ساحة إثبات قوة، بل شراكة أمن نفسي وعاطفي.

وأنا... امرأة من فولاذ.

لكن فولاذي لا ينفي قلبي الأنثوي.

أنا ابنة رجـل... وأخـت رجـل... وأم لرجل.

وأعـرف أن الرجال الحقيقيين هم التيجان فوق رؤوسنا، وهم الأمن حين تضطرب الدنيا، والسند الذي يحمل عنك العالم حين يثقل.

وأعجبني ما كتبه جبران خليل جبران:

"الرجل العظيم هو من يشعر الأنثى بالأمان، لا بالتهديد، بالحضور، لا بالغياب، وبالصدق، لا بالتصنع."

لهذا...

لستُ ممن تكسر الـرجـال، ولا من تستعرض قوتها في غير موضعها.

أنا تلك التي تعرف متى تضع الكحل، ومتى ترفع حاجب الكبرياء، ومتى تخلع قفاز الحياء لتكتب بالدم أحيانًا.

نصيحتي لكل امرأة تقرؤني الآن:

* كوني قوية... ليس لتُهيني أحدًا، بل لتختاري من يستحقك.

احترمي الرجل الحقيقي، واغلقي قلبك عن أشباه الرجال.

وازرعي لنفسك مكانًا في قلب رجل يصونك لا يستهلكك... يتسع لكِ لا يحاصرك... يُضيفك لا يمتصك.

* صباح القوة النقية...

عن نفسي؟

أنا كريمة الشامي الجزائري، امرأة من فولاذ، بقلب عاشق للحكمة، وعقل يقدس الرجولة الحقة.

رواية "كافكا لا يريد أن يموت"

14 اكتوبر / متابعات

صدر حديثاً عن دار "الرافدين للنشر والتوزيع" في بيروت رواية "فرانتس كافكا لا يريد أن يموت"، تأليف لوران سيكسيك Laurent Seksik (*)، ترجمة محمد الفحايم.

"اقتلني، وإلا فأنت قاتل". هذه هي الكلمات الأخيرة لفرانز كافكا وهو يتوسّل للحصول على جرعة مورفين أخرى من صديقه طالب الطب روبرت كلوبشتوك. بجانب سريره، تراقبه حبيبته دورا ديامنت. بينما تنتظر أوتلا، الأخت العزيزة، في براغ الحصول على أخبار. تحكي هذه الرواية قصة الشخصيات الثلاث الرئيسة في حياة كافكا وتشابك مصائرها، بلغة وحبكة تحبس الأنفاس على مدار فصولها. سيصبح روبرت في نيويورك جراحاً بارزاً متخصصاً في مرض السل. سوف تنجو دورا من الاضطهاد النازي ثم الستالينى، حاملة إلينا ذكرى كافكا. وسترافق أوتلا مجموعة من الأطفال البولونيين الذين تطوعت لمساعدتهم، فيقودها النازيون إلى مصير مأسوي في معسكر (أوشفيتز) في الذكرى الستين لميلاد شقيقها. تتيح هذه الشهادات تشكيل صور أخرى عن كافكا إنساناً ومفكراً ورؤيوياً، مثلما تقرب القارئ من رؤى كافكا ودلالاتها العميقة في عيون أقرب المقربين اليه في أشد لحظات حياته محنة. يقول سيكسيك، المؤلف: "كل شيء في هذه الرواية حقيقي. استندتُ إلى وثائق دقيقة للغاية، وغنية جداً. تقمصّت الشخوص بوصفي روائياً، ويعد هذا بمثابة تحدٍ كبير. كافكا لا يحتاجني، ولا يحتاج كاتباً غيري مهما كان. إنما الغاية من الرواية تقديم زاوية جديدة، وإيجاد نظرة جديدة".